جهود العلماء في علوم القرآن : أمثال القرآن نموذجاً

✍ د.عبد الكريم عثمان علي عثمان (★)

ملخص

القرآن الكريم كتاب الله الخالد ومعجزته الباقية ، أنزله الله لهداية البشر ، فهو دستور الحياة الكريمة، وأساس الحضارة الراقية ، ولتحقيق هذه الهداية بذل العلماء رحمهم الله جهودهم الكبيرة المخلصة لإخراج كنوز القرآن كل في مجاله ، فمنهم من توسع ، ومنهم من اختصر ، حني تكونت ثروة علمية تدل علي عظمة هذا الكتاب الكريم ، وعلي منزلته في قلوب هؤلاء المؤمنين به

إن موضوع هذا البحث : جهود العلماء في علوم القرآن : أمثال القرآن نموذجاً . يهدف إلي بيان جهود العلماء في دراسة قضية المثل في القرآن الكريم من حيث بيان معني الكلمة ودلالتها علي المصطلح ، ويسع ى البحث كذلك إلي تحرير المصطلح من تداخلات اصطلاحية عديدة عند العلماء ، ثم تبيين أن قضية المثل في القرآن الكريم من القضايا التي لها تعلق بجوانب الحياة المختلفة ، وعلي ضوء هذه الأهمية حاول البحث حصر

(★) عميد كلية القرآن الكريم جامعة وادي النيل ـ السودان

المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع في القديم وفي الحديث لتكون بيلوغرافيا مفيدة للباحثين والمهتمين بالموضوع . ويركز البحث علي قضية مقاصد أمثال القرآن ومناهجها عند العلماء .

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كما يلي :-

1 -المقدمة : ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع ، وأهداف البحث ومنهجه وأسئلته والإشارة إلي أبرز الدراسات السابقة حوله .

2 - المبحث الأول : تناول تعريف المثل في اللغة وجهود العلماء في بيان مصطلح أمثال القرآن

3 - المبحث الثاني : ذكرت فيه المؤلفات القديمة والحديثة في الموضوع

4 -المبحث الثالث : تناول مقاصد ومناهج الأمثال القرآنية عند العلماء

5 -الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات

مقـدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي رسوله الأمين ، وعلي آله وصحبه والتابعين

وبعد

أخذ القرآن الكريم بمجامع قلوب العلماء ، فجذبهم إليه بجماله وكماله ، كيف لا وهو الكتاب الخالد والمعجزة المتجددة ، بيَّن الله فيه الأحكام ، وأرشد به إلي سبل الهدي وحذر فيه من طرق الغواية ، وأخبر فيه عن حقائق الأشياء وطبيعتها ، وضرب الأمثال ليقرب البعيد ويوضح الخفي ويقيم الحجة والبرهان ، فكانت الأمثال القرآنية من القضايا الواسعة في كتاب الله . ويجيء هذا البحث لإلقاء الضوء علي جهود العلماء في أمثال القرآن لعله يسهم في إثراء النقاش حول هذا الموضوع الهام ويكشف عن بعض جوانبه .

سبب اختيار الموضوع : قضية المثل في القرآن الكريم قضية واسعة تناولها العلماء قديما وحديثا بطرق مختلفة ومناهج متعددة ، وهي قضية تتعلق بجوانب حياتية عديدة تشمل العقيدة والسياسة والاقتصاد والاجتماع وتحتاج لدراسة وفق منهج شامل ومتكامل.

أهداف البحث : يهدف البحث إلي إبراز جهود العلماء قديما وحديثا حول هذا الموضوع ، كما يهدف إلي الإسهام في بناء منهجية متكاملة لتناول قضية أمثال القرآن الكريم .

منهج البحث : المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، مع الالتزام بالموجهات الصادرة من اللجنة التنظيمية للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس : 2)

أسئلة البحث : ما مفهوم أمثال القرآن ؟ وما هي المؤلفات الخاصة بالموضوع قديماً وحديثاً ؟ وما هي مقاصد الأمثال في القرآن ؟ وكيف درست ؟ وكيف ينبغي أن تدرس؟

الدراسات السابقة :تناولت الباحثة سميرة عدلي في رسالتها للدكتوراة بجامعة أم القري في العام 1987م – وجوه البيان في أمثال القرآن – في التمهيد جهود العلماء في أمثال القرآن واقتصرت علي ذكر بعض المؤلفات . أما الكتب المؤلفة في الأمثال فقد وردت في المبحث الثاني من هذا البحث

المبحث الأول

المثل في اللغة والاصطلاح

المثل في اللغة :-

قال ابن منظور : مثل : كلمة تسوية يقال : هذا مِثْله ومَثَله ، كما يقال : شِبْهه وشِبْهه ، والمثل والمثيل كالمثل والجمع أمثال ... والمِثَل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله ، وفي الصحاح ما يُضرب به الأمثال . قال الجوهري : ومَثَل الشيء أيضا صفته ، ويقال : تمَثَّل فلان : ضرب مثلا ، وتمَثَّل بالشيء : ضربه مثلا ، ومن معاني المثل عنده العبرة والآية[1]

وقال ابن العربي : المثل بفتح الميم والمِثْل عبارة عن تشابه المعاني المعقولة ، والمِثل بكسر الميم وإسكان الثاء عبارة عن تشابه الأشخاص المحسوسة ، ويدخل أحدهما علي الآخر[2]

وقال الراغب : أصل المثول الانتصاب ، والمِمَثَّل المصور علي غيره ، يقال : مَثَل الشيء أي انتصب ... والمثل يقال علي وجهين ، أحدهما بمعني المِثل نحو شِبْه وشَبَه ، قال بعضهم : وقد يعبر بهما عن وصف الشيء نحو قوله تعالي : ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ

[1]لسان العرب : ابن منظور : ج14 : ص132-134 بتصرف

[2]عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي : أبو بكر بن العربي : ج10 : ص295

(الرعد: ٣٥) والثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معني من المعاني أيَّ معني كان ، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة[3]

وقال القرطبي : المِثَل والمِثْل والمثيل واحد ومعناه الشبه ، والمتشابهان : المتماثلان هكذا قال أهل اللغة[4]

كلمة المثل من الكلمات التي أثارت نقاشا واسعا حول معناها ، وأثر ذلك بلا شك علي المعني الاصطلاحي الذي سنناقشه بعد قليل ، ومما ينبغي التنبيه عليه أن لهذه الكلمة تعلق بقضايا حياتية وفكرية عديدة ، فأمثال الناس التي تعبر عن ثقافاتهم وتاريخهم منها ، وقضية التشبيه عند علماء البيان وما يترتب عليها من معان منها ، وإذا قلنا إن هذه الكلمة ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من مائة وخمسين مرة فإن ذلك يدل علي أننا أمام أمر أعطاه القرآن أهمية كبيرة ، وأفرد له مساحة واسعة .

المثل في الاصطلاح :-

إذا كانت كلمة المصطلح تدل علي لفظ عَلَمي يؤدي المعني بوضوح ودقة ، ويكون غالبا متفقا عليه عند علماء علم من العلوم أو فن من الفنون[1] ، فإن مصطلح المثل لم تتفق فيه كلمة العلماء ، فقد تناوله علماء البلاغة العربية ، كما تناوله أهل التفسير وعلوم القرآن كل حسب تصوره وموضوعه ، وشكلت كلمة المثل محورا يؤخذ منه المصطلح . يقول ابن عاشور : إن العلماء اقتبسوا من هذا اللفظ (المثل) ثلاثة مصطلحات ، الأول : التشبيه

(3)المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني : ص295

(4)الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج1 : ص320

(1)قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية : د. إيميل يعقوب – د. بسام بركة :ص362

التمثيلي ، والثاني : الاستعارة التمثيلية ، والثالث : الأمثال السائرة[2] . ولا شك أن كل واحد من هذه الثلاثة مصطلحات يلتقي مع الأخيرين في قضية التشبيه .

فعن التشبيه التمثيلي يقول ابن عاشور : من أجل إطلاق لفظ المثل اقتبس علماء البيان مصطلحهم في تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل [3] ، ولكننا إذا تتبعنا كلام العلماء في هذه الجزئية سنري عدم اتفاقهم أيضا ، لأن منهم من فرق بين التشبيه والتمثيل ومنهم من عدهما شيئا واحدا : يقول ابن الأثير : وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع[4]ولعله يقصد السكاكي والجرجاني لأن كل واحد منهما فرَّق بين التشبيه والتمثيل ، فمثلا الجرجاني يحدد العلاقة بينهما بالعموم والخصوص ويقول في ذلك : فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا[5] والسكاكي له مذهب آخر لا يسع المقام لذكره

والأقرب إلي الصواب في تقديري هو مذهب ابن الأثير ، ولعل ابن ناقيا حينما ألف كتابه في هذا الموضوع وسماه (الجمان في تشبيهات القرآن) فعل ذلك ليتفادى هذه التداخلات الاصطلاحية ، ثم إن التشبيهات القرآنية متنوعة في شكلها ومضمونها ، كما أن السياق يختلف بين موضع وآخر ، فلو ذهبنا وراء التفريق الاصطلاحي علي مذهب الجرجاني والسكاكي لما استطعنا أن ندرس أمثال القرآن تحت عنوان واحد ، ثم إننا بهذا الاختيار يمكن أن نستوعب النوع الثاني الذي سماه ابن عاشور الاستعارة التمثيلية ، وتبقي الإشكالية في

(2)مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : ص246- 247 بتصرف

(3)تفسير التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج1 : ص320

(4)المثل السائر : ابن الاثير : ج2 :ص115

(5)أسرار البلاغة : عبدالقاهر الجرجاني :ص94

النوع الثالث أو ما يسمي (المثل السائر) هل هذا النوع موجود في القرآن ؟ وقبل أن ندخل في رأي العلماء فيه نذكر حقيقته

قال الميداني : فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ****** وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد[1]، وقال إبراهيم النظام : تجتمع في المثل أربعة أشياء لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعني وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة[2]. وقال الشيخ اليوسي : ناقلا عن الراغب قوله : المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره نحو قولهم : '' الصيف ضيعت اللبن '' فإن هذا القول يشبه قولك '' أهملت وقت الإمكان أمرك '' ثم عقب علي ذلك بقوله : وتلخيص القول في هذا المقام أن المثل هو قول يرد أولا لسبب خاص ، ثم يتعداه إلي أشباهه فيستعمل فيها شائعا ذائعا علي وجه تشبيهها بالمورد الأول ، غير أن الاستعمال علي وجهين : أحدهما أن يكون علي وجه التشبيه الصريح سواء صرح بالأداة كقولهم : (كمجير أم عامر) ، وكقولهم : (كالحادي ليس له بعير) ، أو لم يصرح كقولهم : (تركته ترك الصبي ظله) ، والثاني لا يكون علي وجه التشبيه الصريح كقولهم : (الصيف ضيَّعتِ اللبن)[3] .

(1)مجمع الأمثال : الميداني : ج1 : ص5

(2)المرجع السابق : ج1 : ص6

(3)زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن اليوسي : ج1 : ص21

والمثل بهذا المعني يشبه الحكمة من وجوه ويفارقها من وجوه ، قال السيوطي : والنادرة كلمة صحيحة تؤدي ما يؤدي المثل إلا أنها لم تشع في الجمهور ولم تجر إلا بين الخواص وليس بينها وبين المثل إلا الشيوع وحده[4] .

لقد عدَّ بعض العلماء هذا النوع من ضمن أمثال القرآن وسماه السيوطي بالأمثال الكامنة أو ما جري مجري المثل[1] ، واعترض عليهم آخرون ، فالشهاب الخفاجي يري أن الله ابتدأها وليس لها مورد قبله ويقول : إن كان هذا اصطلاحا جديدا لأهل المعاني فينبغي التنبيه عليه[2] ، وقال الألوسي : وتفسيره بالقول السائر الممثل مضربه بمورده يرد عليه أمثال القرآن لأن الله ابتدأها وليس لها مورد من قبل ، اللهم إلا أن يقال هذا اصطلاح جديد أو أن الأغلب في المثل ذلك[3]، ويقول بعض الباحثين المحدثين بعد أن اعترض علي إدخالها في أمثال القرآن الكريم : فلا مناص من تفسير المثل بمعني آخر وهو المثل القياسي الذي أشار إليه علماء البلاغة في علم البيان وهو قائم بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز[4].

إن النظرة العامة الفاحصة في آيات المثل والتشبيه في القرآن الكريم تؤيد ما ذهب إليه هؤلاء العلماء ، فمقاصد الآيات الخاصة بالموضوع وسياقها الثقافي والتاريخي والاجتماعي يرجح أن المثل السائر غير مقصود في القرآن الكريم ، وسيظهر ذلك أكثر عند الحديث عن مقاصد أمثال القرآن الكريم

المبحث الثاني

(4)المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : ج1 : ص486

(1) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي : ج2 : ص174-175

(2) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : شعيب الغزالي : ص253

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسي : ص163

(4) الأمثال في القرآن الكريم : جعفر السبحاني : ص17

المؤلفات في أمثال القرآن :

يمكن أن نقسم المؤلفات في هذا المجال إلي مؤلفات قديمة مفقودة ، ومؤلفات قديمة موجودة ومطبوعة ، ومؤلفات حديثة .

أولاً : المؤلفات القديمة المفقودة[5]

1 -أمثال القرآن : للجنيد بن مُحَمَّد القواريري (ت 298 هجرية)

2-أمثال القرآن : إبراهيم بن مُحَمَّد بن عرفة المعروف بنفطويه (متوفي 393 هجرية)

3-أمثال القرآن : مُحَمَّد بن حسن النيسابوري (ت 412 هجرية)

4-الأمثال القرآنية : أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي (ت 450 هجرية)

5-الأمثال الكامنة في القرآن : الحسن بن عبد الرحمن القضاعي (ت 454 هجرية)

ثانيا :مؤلفات قديمة موجودة ومطبوعة :-

1-الأمثال من الكتاب والسنة : مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي (ت 318 هجرية)

2-الجمان في تشبيهات القرآن : عبد الله بن الحسين بن ناقيا البغدادي (متوفي 485 هجرية)

3-الأمثال في القرآن الكريم : أبوبكر عبد الله بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ي 751 هجرية)

كما تجدر الإشارة إلي أن بعض العلماء كتب عن أمثال القرآن في ثنايا مؤلفاتهم مثل السيوطي الذي ذكره في النوع السادس والستين[1] والزركشي الذي ذكره في النوع الحادي والثلاثين[2] وابن العربي[3] وابن عقيلة المكي الذي ذكره في النوع الثامن والثلاثين بعد المائة[4]

---

[5] وجوه البيان في أمثال القرآن : سميرة عدلي مُحَمَّد رزق : 28

(1)الإتقان في علوم القرآن : السيوطي : ج2 : ص271

ثالثا : مؤلفات حديثة :–

1–الأمثال في القرآن : د. محمود بن الشريف

2–الأمثال في القرآن الكريم : جعفر السبحاني

3–أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

4–الأمثال والمثْل والتَّمَثُّل والمثُلات في القرآن الكريم : سميح عاطف الزين

5–الأمثال في القرآن الكريم : د. مُحَمَّد جابر الفياض

6–أمثال القرآن : منصور العبدلي

7–الأمثال القرآنية في سورة البقرة وآل عمران – دراسة تحليلية موضوعية – أحمد حامد مُحَمَّد سعيد

8–الأمثال القياسية المضروبة للإيمان بالله مع نماذج من بعض الأمثال :د. عبد الله الجربوع

9–أمثال القرآن بالفارسية : علي أصغر حكمت

10–التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم : حسين عبد الباري رضوان

11–التشبيه القرآني وأثره في الصورة الفنية القرآنية : أنور بدر الدين

12–التشبيهات القرآنية والبيئة العربية: واجدة عبد الماجد الأطرقرجي

13–التشبيهات القرآنية ومدي تأثيرها في النفوس : دخيل الله ضيف الله راجح الرحيلي

14–التشبيه – صوره وألفاظه – دراسة تطبيقية في القرآن الكريم : أحمد لزهري بلحضر

(2)البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ج1 :ص486

(3)قانون التأويل : أبوبكر بن العربي : ص473

(4)الزيادة والإحسان في علوم القرآن : ابن عقيلة المكي :ج7 : ص320

15-التشبيه في القرآن الكريم – دراسة في أقوال المفسرين في القرن السادس الهجري – ياسر مُحَمَّد عطار

16-خصائص التشبيه في القرآن الكريم : عبد الحميد مُحَمَّد العيسوي

17-الخصائص البلاغية للتشبيهات الواردة في القرآن : عايدة صديق عثمان

18- التصوير الفني في القرآن الكريم : سيد قطب

19-تصوير أعمال المؤمنين والكافرين وصفاتهم من خلال التشبيه المركب في القرآن الكريم : سيدي مُحَمَّد حملة الحاج أحمد الموريتاني

20-التعبير القرآني في أمثال القرآن الكريم : محمود السيد حسين

21-الإشارة الجمالية في المثل القرآني د. عشتار داوود مُحَمَّد

22-صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية : أحمد عبد الله الكاف

23-مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : شعيب بن أحمد بن مُحَمَّد الغزالي

24-معجم أمثال القرآن : سميح عاطف الزين

25-وجوه البيان في أمثال القرآن : سميرة عدلي مُحَمَّد رزق

المبحث الثالث

أمثال القرآن الكريم المقاصد والمنهج :-

ضرب الله المثل في كتابه العزيز وامتن علي عباده بذلك ، قال تعالي : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ (إبراهيم: ٢٥) وقال جل شأنه : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ (العنكبوت: ٤٣)، لقد وقف العلماء في ورود كلمة الضرب مع المثل واقترانها به في بعض آيات التنزيل . قال الشيخ اليوسي : وفسر المفسرون ضرب المثل الواقع في قوله تعالي: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ

ﭽ ﭾ ﭿ ﭽ (البقرة: ٢٦) وقوله: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭽ (العنكبوت: ٤٣) ، بالتبيين والجعل والوصف[1].

وقيل : ضرب المثل مأخوذ من الضريب أي المثيل له ، تقول هو ضريبه ، وهما من ضرب واحد ، لأنه يجعل للأول مثل ، وقيل : من ضرب الطين علي الجدار ، وقيل : من ضرب الخاتم ونحوه ، لأن التطبيق واقع بين المثل ومضربه ، كما في الخاتم علي الطابع[2]

المقاصد في اللغة :-

قال ابن منظور : القصد الاعتماد والأمُّ ، وقصْدُك أي تجاهك ، والقصد إتيان الشيء[3]. و(ق ص د)في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء[4]، فمقاصد الأمثال نعني بها المقصد الذي سيق من أجله المثل ، أو ما يتوجه له المثل ، وقد تناول العلماء هذا المعني تحت عناوين مختلفة فمنهم من سماه أغراض المثل ، ومنهم من سماه فائدة المثل ، إلا أنني رأيت كلمة المقصد تشمل الجميع ،

اتفقت كلمة العلماء أن للأمثال مقاصد عليا وحكم جليلة ، ومما يزيد من أهمية مقاصد الأمثال شمولها لمختلف جوانب الحياة ، وربطها بين عالمي الغيب والشهادة ، ومن الأمور المهمة التي لابد من ملاحظتها أن قضية المثل قضية يتلمس الباحث فيها حيوية النصوص وصلاحيتها لمختلف البيئات البدوية والحضرية ، الراقية والمتخلفة ، فهي نموذج لصلاحية القرآن الكريم لكل الأزمنة والأمكنة

(1)زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن اليوسي : ص24

(2) المرجع السابق : ص 26

(3) لسان العرب : ابن منظور : ج3 : ص353

(4) تاج العروس من جواهر القاموس ك الزبيدي : ج9 : ص36

لقد شكلت قضية الشاهد والغائب والمعقول والمحسوس محورا أساسيا تدور حوله عبارات العلماء الأقدمين وهم يتحدثون عن مقاصد الأمثال القرآنية ، يقول الحكيم الترمذي : فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة فمن عقل الأمثال سماه الله تبارك وتعالي عالما[1]، وقال أبو السعود : فإن التمثيل ألطف ذريعة إلي تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستقصاء عليه ، وأقوي وسيلة إلي تفهيم الجاهل الغبي ، وقمع سورة الجامح الأبي ، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء المنكر في صورة المعروف وإظهار الوحشي في صورة المألوف[2] ، وتكاد تتفق عبارات كثيرين منهم في تبيين هذه الحقيقة ، لكن مع تطور نظرة الناس لقضية الشاهد والغائب ، والمعقول والمحسوس ، وتطور مناهج العلوم ربما تجد تعبيرات توحي بتطور في نظرة العلماء لمقاصد المثل في القرآن ، فمثلا الشيخ الحسن اليوسي من علماء القرن الحادي عشر الهجري يتحدث عن مقاصد الأمثال في القرآن بطريقة تستوعب منازل الناس في مراتب العلم والمعرفة ، ويتحدث عن الضروريات والتحسينيات مما يؤكد علي أخذ قضية الأمثال كنموذج لصلاحية الكتاب لكل زمان ومكان ، يقول رحمه الله : ثم إنه كلما عرف الإنسان ضربا من العلوم وألفته نفسه واستأنست به ، فإذا ارتحل عنه إلي منزلة أخري حنَّت النفس إلي الأولي المألوفة أيضا ، فاحتيج إلي أن يضرب الله لها مثلا بشيء مما ألفته أو نظيره لتستأنس به وتطمئن إليه حتى لا يختص التمثيل بالمحسوسات الصرفة وهكذا أبداً ، فقد تبين بهذه الكلمات الاحتياج إلي التمثيل ووجه الا حتياج وأنه لا غ نى عنه لعامٍ ولا لخ اص ، غير أن

(1)الأمثال من الكتاب والسنة : الحكيم الترمذي : ص13

(2)إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود : ج1 : ص50

الاحتياج قد يكون ضروريا وذلك عند العجز إلي الوصول إلي المطلوب بدونه ، وقد يكون تحسينيا وذلك عند الاحتياج إلي الاستعانة به والاستئناس والاطمئنان ، هذا الأصل ، وقد يكون الاحتياج لأغراض أخر ستأتي [1] ، إن هذا الكلام يجعلنا نقف وقفة تأمل وتدبر في قضية أمثال القرآن الكريم لنهتدي بها في كثير من مناهجنا الحياتية والتعليمية والبحثية

ويتوسع الزركشي في بيان مقاصد المثل ويقول : وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار والتقرير ، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلي الحس ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة علي تفاوت الأجر وعلي المدح والذم ، وعلي الثواب والعقاب ، وعلي تفخيم الأمر وتحقيره وعلي تحقيق أمر أو إبطال أمر [2]، وقال الشيخ عز الدين : إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا ، فما اشتمل منها علي تفاوتٍ في ثواب أو علي إحباط عمل ، أو علي مدح أو ذم ، أو نحوه فإنه يدل علي الأحْكَام[3]

إن قضية الشاهد والغائب كما مر سابقا ظلت تمثل الفكرة الأساسية التي ينطلق منها العلماء لدراسة أمثال القرآن الكريم ، ولقد جاءت هذه القضية في القرآن الكريم معالجة لكل الظواهر السالبة في تفكير الإنسان ، بدءاً من العقيدة وانتهاءً بكل ما يهم الإنسان في حياته ومعاده ، إنها قضية أكبر من أن تحصر في درس بياني يقف عند المشبه والمشبه به ، وتميز أسلوب القرآن علي غيره من أساليب العرب ، وهذا مع حقيقته وأهميته لا ينبغي أن يكون حاجزا دون الانطلاق إلي دراسة عميقة في منهج القرآن في هذا التصوير البديع ، لقد

(1)زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن اليوسي : ج1 : ص34

(2)البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ج1 : ص486

(3)الإتقان في علوم القرآن : السيوطي : ج2 : 271

اجتهد الأوائل رحمهم الله في بيان هذه المقاصد ولكن اهتمامات البيئة العلمية في ذلك الوقت أثرت في طريقة التأليف عندهم والتفكير . يقول سيد قطب حول هذه المسألة : ثم أخذ التفسير ينمو ويتضخم ابتداءً من أواخر القرن الثاني ، ولكن بدلا من أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن أخذ يغرق في مباحث فقهية وجدلية ، ونحوية وصرفية ، وخلقية وفلسفية ، وتاريخية وأسطورية ، وبذلك ضاعت الفرصة التي كانت مهيأة للمفسرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن[1].

وتتطور نظرة العلماء لمقاصد الأمثال مع تطور الحياة ، مما يدعونا إلي وقفة جديدة متجددة مع أمثال القرآن ، فإذا كان العلماء في السابق يركزون علي جانب الإعجاز البياني في الأمثال وربط الشاهد بالغائب ، فإن هذا الش اهد اليوم يمكن أن يؤخذ من مشهدٍ من مشاهد الحياة المتجددة في أي مجال من مجالاتها ، وكثيرة جداً هي القضايا المتجددة ، ولذلك نجد العلماء المحدثين يتحدثون عن شمولية المثل وإطلاقه ، ومن أمثلة ذلك حديثهم عن دور المثل في السنن الإلهية ، يقول الميداني : ويطلق المثل في القرآن ويراد منه ذكر نماذج أو أكثر لنوع من الأنواع ، أو عمل من الأعمال أو سنة من سنن الله نظراً إلي التشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد ، أو نظراً إلي اطراد سنن الله وأعماله الحكيمة ، ثم يأتي القياس المستند إلي مبدأ شمول الأحكام المتماثلات الذي تقضي به أصول الحقائق أو تقضي به حكمة الخ الق في خلقه ، وفي تصاريف عدله وفي ثبات سننه ، فينتج أحكاما عامة تشمل سائ ر الأفراد المماثلة لما جاء في المثل[2]. ويقول سميح عاطف : وهكذا الأمر بالنسبة لكل ما تتناوله أمثال القرآن فالله سبحانه وتعالي يضرب مثلا لحالة بحالة دون تفصيل كل حالة علي حده ، وهذا

(1) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب : ص27

(2) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع : عبد الرحمن الميداني : ص24

ما يضفي علي المثل القرآني صفة الإطلاق لأن معانيه ومدلولاته لا تنحصر بالحالة التي يتناولها نصُّ هذا المثل بل تتسع لتشمل جميع الحالات المماثلة لها في أي زمان ومكان وجدت فيه[3]، ومن مقاصد الأمثال عند العلماء المحدثين معالجة النفوس الإنسانية من عللها وأمراضها مع مراعاة للجانب النفسي عند ا لمخاطب . يقول محمود الشريف : ومن سنن الهدي الإسلامي مراعاة النفسيات ، فهناك نفس متينة مكينة ، ونفس هشة قميئة ، وثالثة كافرة فاجرة ، وأخري مارقة ماجنة .. ألوان من نفسيات متباينة متغايرة ، لك ل منها عند القرآن علاج خاص ...ومن أجل هذا كانت الأمثال القرآنية لوناً من ألوان الهداية الإلهية تغري النفوس علي الخير ، أو تحضها علي البر ، أو تمنعها من الإثم ، أو تدفعها إلي فضيلة ، أو تدفع عنها شائبة ، أو تمنع نقيصة ، ومن أجل هذا أيضا تناولت الأمثال القرآنية مجالات عدة فمثلت الإيمان ومثلت الكفر وفضحت النفاق و حضت علي الإنفاق ونادت بالخير ونددت بالشر وصورت الطيب والخبيث والصالح والطالح[3]

ومن مقاصد الأمثال القرآنية عند العلماء المحدثين الدلالة علي الإشارات العلمية ، وهي بلا شك مفيدة جدا في باب الإعجاز العلمي . يقول الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم : جاء التشبيه البليغ في آيات القرآن الكونية ليقود العلماء إلي التلمس العلمي لهذه الآيات وإدراك ما بها من إشارات علمية ، وذلك من خلال مطابقة المجهول بالمعلوم كما في قوله تعالي : ﭽ ﭟ ﭠ ﭼ (النبأ: ٧) . والأوتاد معلومة صفة وأداءً ، وعلي العلماء أن يدرسوا الجبال علي ضوء ذلك التشبيه ، وقد تحقق ذلك وتوصل العلماء إلي معلومات كثيرة في هذا الموضوع ، ويلاحظ أن التشبيه القرآني من باب تشبيه الأعلى بالأدنى ، وهو م ا يعرف بقلب

(3) الأمثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن الكريم : سميح عاطف الزين : ص42

(3)الأمثال في القرآن : محمود بن الشريف : ص8

التشبيه ، فهو ليس من باب التهويل الذي يكون في لغة الناس ولكنه من باب الدعوة إلي النظرة التوافقية والتوجيه والبحث في أوجه الشبه[1]

ومجال الإشارات العلمية في القرآن الكريم من المجالات المهمة والحساسة التي لا ينبغي الدخول فيها إلا بالشروط التي ذكرها العلماء في محلها ، وعليه فإن دراسة أمثال القرآن من هذه الناحية ربما تفتح نافذة جديدة للبحث ستسهم كثيرا في تدعيم فكرة الإعجاز العلمي ، وتفيد جدا في مجال الدعوة ، خاصة إذا اهتم القائمون بالأمر بترجمة البحوث في الموضوع إلي اللغات الأخرى .

منهج العلماء في أمثال القرآن :-

إن موضوع المثل في القرآن الكريم بحر بعيد الشواطيء عميق القرار اغترف العلماء منه كل حسب طاقته وتوجهه ، ولذلك تفاوتت دراستهم للموضوع بين المكثر والمقل ، وبداية لا بد من الإشارة إلي أن العلماء الذين كتبوا فيه لم يتفقوا في منهجيتهم ولا في طريقة تناول الآيات وعددها ، فمثلا تناول ابن ناقيا البغدادي في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن) ما يزيد علي الخمسين آية بقليل لتكون موضوع درسه وتحليله ، بينما لم يزد ابن القيم في كتابه (الأمثال في القرآن الكريم) عن خمسٍ وعشرين آية ، ووصل بعدد الآيات إلي تسعة وستين الشيخ جعفر السبحاني وهو من المؤلفين المحدثين ، أما عند الميداني فقد وصل عددها إلي ما يقارب المائتين ، وهكذا ، ويلخص السبب في تفاوت الأمر بين المؤلفين في الموضوع ما ذكره سميح عاطف الزين حيث قال : والحقيقة أن موضوعات الأمثال في القرآن

(1)منهج دراسة الآيات الكونية في القرآن الكريم : أ. د . كارم السيد غنيم : من موقع www.quran-m.com

الكريم كثيرة ومتنوعة ولا يمكن التعرض لها جميعها لما يلزم لهذا الأمر من البحث والتمحيص والتدقيق وسعة الجمع والتأليف(1)

لقد تناول العلماء رحمهم الله موضوع الأمثال في القرآن الكريم في مؤلفات خاصة وفي ثنايا تفاسيرهم ، ولما كان المقام لا يسمح باستقصاء كثير من أقوالهم فسنأخذ نموذجا واحدا هو جانب من أول آيات ورد فيها ذكر المثل في سورة البقرة وذلك في قوله تعالي :چ ٱ

ب ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ

ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ

چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ

گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ چ البقرة 17 –20 هذه الآيات الكريمة مثلت منطلقا لكل المفسرين ليعبروا من خلالها عن نظرتهم لقضية الأمثال في القرآن الكريم باعتبارها أول آيات يذكر فيها الموضوع ، ولذلك قل أن تجد مفسرا يمر عليها دون أن يتحدث عن المثل ومعناه وفائدته إلي آخر الكلام ، وستكون وقفتنا هنا مع تفسيرهم لهذا المثل ولمن ضربه الله وكيف ؟ ،

اتفقت كلمة المفسرين علي أن المراد بمستوقد النار هم المنافقون ، وتوسعوا جدا في التبريرات اللغوية لاختلاف الضمائر بين الممثل به والممثل له ، ولنأخذ نموذجا من أقوالهم نكتفي فيه بالإمام الرازي القرطبي وأبو السعود

يقول الرازي : المسألة الثانية أنه تعالي لما بين حقيقة صفات المنافقين عقبها بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان ، أحدهما هذا المثل وفيه إشكالات ، أحدها أن يقال : ما وجه التمثيل بمن أعطي نورا ثم سلب ذلك النور منه مع أن المنافق ليس له نور ؟ وثانيها أن يقال : إن من استوقد نارا فأضاءت قليلا فقد انتفع بها وبنورها ثم حرم ، فأما المنافقون فلا

(1)الامثال والمثل والتمثل والمثلات في القرآن : سميح عاطف الزين :ص9

انتفاع لهم البتة بالإيمان فما وجه التمثيل ؟ وثالثها أن مستوقد النار قد اكتسب لنفسه النور والله تعالي ذهب بنوره وتركه في الظلمات ، والمنافق لم يكتسب خيرا وما حصل له من الخيبة والحيرة فقد أتي به من قبل نفسه فما وجه التشبيه ؟[1] واجتهد رحمه الله في الإجابة علي هذه الإشكالات ، ومن بعض ذلك قوله : والجواب أن العلماء ذكروا في كيفية التشبيه وجوها : أحدها قال السدي : أن ناسا دخلوا في الإسلام عند وصوله عليه السلام إلي المدينة ثم إنهم نافقوا ، والتشبيه هنا في نهاية الصحة لأنهم بإيمانهم أولا اكتسبوا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور ووقعوا في حيرة عظيمة ، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين لأن المتحير في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلا القليل من الدنيا ، وأما المتحير في الدين فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الآبدين ، وثانيها : إن لم يصح ما قاله السدي بل كانوا منافقين أبدا من أول أمرهم فهاهنا تأويل آخر ذكره الحسن رحمه الله ، وهو أنهم لما أظهروا الإسلام فقد ظفروا بحقن دمائهم وسلامة أموالهم عن الغنيمة ، وأولادهم عن السبي ، وظفروا بغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين وعد ذلك نورا من أنوار الإيمان ، ولما كان ذلك بالإضافة إلي العذاب الدائم قليلا قدرت شبههم بمستوقد النار الذي انتفع بضوئها قليلا ثم سلب ذلك فدامت حيرته وحسرته للظلمة التي جاءته في أعقاب النور، فكان يسير انتفاعهم في الدنيا يشبه النور ، وعظيم ضررهم في الآخرة يشبه الظلمة [2] ويستمر الرازي في بحثه عن حل هذه الإشكالات ليصل بها إلي ثمانية ، وخلاصة القول أنه واجه إشكالاً كبيراً بتفسيره لهذا المثل علي هذه الطريقة ، وننتقل إلي القرطبي رحمه الله الذي واجه إشكالاً في هذا المعني من جانب

---

[1] مفاتيح الغيب : الرازي : ج2: ص80

[2] المرجع السابق : ج2 : ص81

آخر يقول رحمه الله : قوله تعالي : –الذي – يقع للواحد والجمع ، قال ابن الشجري هبة الله بن علي ومن العرب من يأتي بالجمع بلفظ الواحد كما قال :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ***** هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقيل في قوله تعالي :چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ چالزمر: ٣٣ إنه بهذه اللغة ، وكذلك قوله تعالي :چ ٱ ب ب چالبقرة: ١٧ قيل : المعني كمثل الذين استوقدوا ، ولذلك قال : چ پ پ پ ڀ چالبقرة: ١٧ ، فحمل أول الكلام علي الواحد وآخره علي الجمع[1] . ثم قال في معني الآية : والمعني المراد بالآية : ضرب مثل للمنافقين ، وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان الذي تثبت لهم به أحكام المسلمين من المناكح والتوارث والغنائم والأمن علي أنفسهم وأولادهم وأموالهم بمثابة من أوقد ناراً في ليلة مظلمة فاستضاء بها ، ورأي ما ينبغي أن يتقيه ، وأمن منه ، فإذا طفئت عنه أو ذهبت ، وصل إليه الأذى ، وبقي متحيرا ، فكذلك المنافقون ، لما آمنوا اغتروا بكلمة الإسلام ، ثم يصيرون بعد الموت إلي العذاب الأليم كما اخبر التنزيل : چ ئے ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ۈ ۈ چالنساء: ١٤٥ ويذهب نورهم ولهذا يقولون : چ ڤ ڦ ڦ ڄ چالحديد: ١٣ . وقيل إن إقبال المنافقين إلي المسلمين وكلامهم معهم كالنار ، وانصرافهم عن مودتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها ، وقيل غير هذا[2] .

ويقول أبو السعود : –كمثل الذي – أي الذين كما في قوله تعالي : چ ٹ ٹ ٹ ڈ چالتوبة: ٦٩ ، خلا أنه وحد الضمير في قوله تعالي: چ ٻ ٻ ٻ چالبقرة: ١٧ نظرا إلي الصورة ، وإنما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم موضع القائمين لأن المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه ، بل إنما هو وصلة لوصف المعارف بها ، ولأنه حقيق

---

[1] الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج1 : ص 321

[2] المرجع السابق : ج2 : ص321

بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر علي اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين ، ولأنه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ألا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن أخواته ، وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة علي زيادة المعني ، ولذلك جاء بالياء أبدا علي اللغة الفصيحة ، أو قصد به جنس المستوقد أو الفوج أو الفريق المستوقد[1] .

واضح جدا أن المفسرين الثلاثة واجهوا تعقيدات كبيرة وهم يفسرون المثل في هذه الآية بهذه الطريقة ، ولا نقول إن اللغة والمعني لا يحتملان ذلك ، كلا ، فكلام الله واسع المعاني يغترف منه العلماء كل حسب طاقته ومشربه وعلمه ، لكن لنقف مع منهج دقيق في فهم هذا المثل أورده الشيخ مُحَمَّد عبد الله دراز ، ووصل به إلي فهم مغاير تماما إلي ما وصل إليه من سبقه من المفسرين ، وبأدب العلماء الجم وأخلاقهم الرفيعة لم يخطئ الذين سبقوه بل قال إن المعني يسيغ ذلك ، وهذا من أدب الاختلاف الذي ينبغي أن نتحلي به ونحن ندخل إلي المعرفة والبحث في هذه الشريعة السمحة .

لقد قال الشيخ دراز إن المراد بمستوقد النار في هذا المثل هو رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والمفسرون الذين قبله يقولون إن المراد بهذا المثل المنافقون ، وليست القضية اختلافهم في النتيجة فذلك أمر طبيعي في هذه الشريعة السمحة ، ولكن القضية في تنبيهه علي المنهج الذي وصل به إلي هذه النتيجة . فكيف كان ذلك ؟ يقول رحمه الله : وهذا أيضا غير ماذكره المفسرون فقد جعلوا مستوقد النار مثلاً للمنافق الذي تكلف النطق بكلمة الإسلام خداعا فلم ينتفع بها إلا يسيرا في دنياه ثم قضي أجله وأفضى إلي عمله فإذا هو في الظلمات والخسران المبين ، هكذا اعتبروا الضمائر المجموعة في قوله :ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ البقرة:

[1] إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود :ج1 : ص50

١٧ عائدة إلي : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭽ البقرة: ١٧ بمراعاة معناه بعد أن عادت الضمائر المفردة بمراعاة لفظه ، ونحن لا نزعم بطلان هذا التأويل ، ولا ننكر إساغة اللغة له ، ولكن الوجه الذي عرضناه ها هنا في شرح المثل يجمع إلي صحته العقلية واللغوية أنه مستنبط من النظم القرآني نفسه ، ونحسبه مع ذلك أقرب لأسلوب القرآن وأليق بجزالته ، فإن لم يكنه فليكن أحد الوجوه التي يحتملها القرآن ، أما كيف استنبطنا هذا المعني فإليك بيانه : لقد نظرنا في المثلين فرأينا الأسلوب فيهما يتجه اتجاها متوازيا إذ وجدنا في صدر كل منهما حديثا عن جماعة ، ثم نظرنا إلي المثل الثاني فرأينا الضمير المجموع فيه ليس راجعا إلي مرجع الضمير المفرد بل هو راجع باتفاق المفسرين إلي أمر مفهوم من فحوي الكلام هو القوم الذين نزل عليهم الصيب ، ومعلوم أن هذه التشبيهات المركبة التي ينظر فيها إلي مقابلة المجموع بالمجموع لا يعني فيها بالمقابلة اللفظية الأحادية لأبين ما قبل الكاف – وما يليها علي الترتيب : بل ربما يكون الاختلاف بينهما كما هنا أمرا مطلوبا للبلغاء في وجيز الكلام يقصدون به التنبيه من أول الأمر علي ما سيحدثون في التشبيه من طي وتقديم وتأخير ، والتنبيه علي أن المشبه به ليس هو مدخول الكاف وحده ، وإنما هو قصة متعددة الفصول ، هذا المدخول أحد فصولها ، ذلك ليبقي السامع محتفظا بانتباهه وتشوقه إلي تمام الكلام الذي به يظهر له التطابق بين طرفي التشبيه ، وبه يمكن رد كل شيء إلي شبهه ، هذا الضرب في أسلوب القرآن كثير منه قوله تعالي : ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭽ البقرة: ١٧١ وقوله : ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭽ يونس: ٢٤ وقوله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭽ البقرة: ١٩[1]

ساق الشيخ دراز كل هذه الفذلكة البلاغية الفريدة لينتقل إلي الكلام عن المثل موضوع النقاش من خلال المقارنة مع ما ذكره فقال : حينئذ عدنا إلي المثل الأول فقلنا هل

[1] النبأ العظيم : محمد عبد الله دراز : ص169-170

عسي أن يكون هو أيضا سائرا علي هذا النهج حسبما يرشد إليه تعادل الأسلوبين فيكون الضمير المجموع فيه ليس عائدا إلي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭽ البقرة: ١٧ ، بل إلي القوم الذين استوقدت النار من أجلهم ، أليس السامع متى انتهي إلي كلمة ما حوله يزداد شعورا بأن هناك قوما مشبها بهم ؟ إذ سرعان ما ينتقل الذهن من المكان إلي السكان .. هذه الخطوة الأولي لم تلبث أن لحقتها الخطوات التالية : وهي أن النور الذي ذهب الله به إذا كان هو نور أولئك القوم ولم يكن هو ضوء النار التي استوقدها المستوقد فتلك النار إذا لم تطفأ ولم يذهب ضوءها ، فما يكون مضرب المثل بهذا الضياء الذي بقي هو وذهب غيره ؟ ألا يكون هو ضوء الهداية الحقيقية التي أبي الله إلا أن يتمها ولو كره الكافرون ، ثم من يكون مضرب المثل بمستوقد النار ؟ ألا يكون هو الهادي الأعظم صلوات الله عليه ، فقد استوقد شعلة الهداية الإسلامية أي عالج إيقادها أمام زوابع من الفتن وأعاصير من المقاومات العنيفة ، فلما أوقدها وأضاءت ما حوله رغمت بها أنوف أعداء الحق ، الذين أكل الجهل والحسد قلوبهم ، فانطمست بصائرهم وكانوا كلما ازدادت هي تألقا وإشراقا ازدادوا هم ظلمة وانتكاسا[1]

بعد هذا الحجج البلاغية الواضحة يبحث الشيخ عن مؤيد أقوي لفكرته التي خالف فيها جمهور المفسرين ، مع عبارات يظهر فيها أدب العلماء مع سيدهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ومع بعضهم بعضا ، فيقول رحمه الله : بيد أن اتفاق التفاسير التي بين أيدينا علي جعل مستوقد النار مثلا للمنافقين جعلنا نتهيب تأدبا أن نضربه مثلا للرسول الأمين من غير شاهد يؤيد ذلك من الكتاب أو السنة ، وما برحت هذه المخالفة التي تحيك في الصدر وتجد اطمئنان القلب إلي هذا المعني حتى ظفرنا بشاهده الصريح الصحيح في حديث النبي عن نفسه حيث يقول صلي الله عليه وسلم : ،، إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد

[1] النبأ العظيم : محمد عبد الله دراز : ص170

نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها[2]‘‘ . نعم التمثيل به في الحديث من وجه غير الوجه الذي في الآية ، ولكن هذا لا يضير ، إذ المثل الواحد يضرب لمعان متعددة باعتبارات مختلفة والذي يعنينا إنما هو وقوع التمثيل به للنبي الكريم وهو صريح كما في صدر الحديث كما نري فبذلك ازدادت النفس ركونا إلي صحته .

وبعد فما بنا علم الله حب الخلاف ولا شهوة الإغراب ولكنها أمانة العلم والنصيحة لكتاب الله تعالي حملتنا أن نقول فيه أحسن ما نعلم ، ثم شجعتنا علي أن نسجل بالقلم هذا الذي قلناه بالفم ، لنعرضه في الطرس علي أنظار القارئين ، كما عرضناه في الدرس علي أسماع الطالبين ، لعل هؤلاء واجدون فيه من مواضع النقد والتمحيص ما لم يجده أولئك ، وهذا الباب من أبواب البحث والاستنباط الذي لا يمس أصلا من أصول الدين ولا يحل حراما أو يحرم حلالا لن يزال مفتوحا لكل مسلم أعطاه الله فهما في كتابه ، علي شريطة القصد والأناة في سير العقل مع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع علي الحد الذي وصفنا والمنهج الذي رسمنا[1]

إن الحد الذي وصفه والمنهج الذي رسمه لا يمكن عرضه بأكمله في هذه المساحة المحدودة ولكن فقط ننبه عليه ونأخذ خلاصته ، إن الشيخ دراز يتحدث عن منهج متكامل من خلاله يستطيع الباحث أن يجني ثمرة البحث في المثل في القرآن الكريم ، إننا بهذا المنهج الذي يقوم علي القصد والأناة وإعمال العقل والبحث في القرآن والسنة ومعرفة اللغة والأخذ

---

[2] صحيح البخاري : مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري : ج8 : ص102

[1] النبأ العظيم : د. مُحَمَّد عبد الله دراز : ص170 –الهامش–

بمستجدات العلم والحياة ، و تضافر الجهود ، وتكامل المعارف والبناء السليم للتراكم المعرفي مع سلفنا الصالح ، نستطيع أن نعطي منهجا متميزا في هذا الموضوع .

إن قضية الأمثال القرآنية قضية حقيقة مطلقة يخبر بها رب الناس ، فهي أكبر من أن تحصر في مصطلحات بيانية ، لكن لِتَكُن المصطلحات البيانية مع غيرها من المعارف منطلقا إلي فكر أعمق وأشمل ، ونظرة أوسع ، إننا نحتاج إلي البحث عميقا في هذا الإرث المبارك بكل احترام وتقدير لسلفنا الصالح ، لأنهم ما ادخروا جهدا في النصح لكتاب الله ، ويبقي الكتاب الخالد معجزا ، ومائدة لا تشبع منها العلماء .

إن الأمثال القرآنية مظهر من مظاهر التفكر في النفس وفي الآفاق ، للوصول إلي معرفة الحق تعالي والخضوع له ، وصدق الله العظيم الذي يقول: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح چ (فصلت: ٥٣)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

عرض هذا البحث جهود العلماء في أمثال القرآن ، وناقش معني المثل في اللغة والاصطلاح ، وذكر المؤلفات في هذا الموضوع ، كما بين مقاصد الأمثال القرآنية عند العلماء ومناهجهم فيها ، وهذه أهم النتائج التي توصل إليها :-

1 -هناك تداخل مفاهيمي حول مصطلح – أمثال القرآن – ومن آثاره اختلاف العلماء حول الأمثال السائرة هل تدخل في هذا الموضوع أم لا ؟ ورجح البحث عدم دخولها

2 -قضية الأمثال القرآنية من القضايا الكبرى في القرآن الكريم ، وتتعلق بكل أمور الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة

3 -تمثل أمثال القرآن الكريم نموذجا حيا لصلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان

4 -لأمثال القرآن الكريم مقاصد جليلة عبر عنها العلماء كل حسب منهجه وطريقته ، وكانت قضية الشاهد والغائب والمعقول والمحسوس أساسا لفكرتهم في هذه المسألة

5 -تحتاج دراسة الأمثال القرآنية لمنهج نموذجي يقوم علي تكامل وتراكم المعرفة في المجال الشرعي واللغوي والعلمي

التوصيات :-

1-تشجيع البحوث وتنشيط المؤتمرات المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه

2-تدريس مقرر باسم – الأمثال القرآنية – في الكليات الجامعية الأدبية والعلمية

3-ترجمة المؤلفات في موضوع أمثال القرآن الكريم إلي اللغات الحية

4-ضرورة بناء منهجية علمية متكاملة لدراسة مثل هذه المواضيع

5-الاستفادة من المنهج القرآني في قضية الشاهد والغائب في تبليغ حقائق الدين وأسرار الشريعة.